

قوة الشياطين

للقديس يوحنا ذهبى الفم

١

تقديم
نيافة الانبا بيسنتى

ترجمة الراهب
متى الانبا بولا

دير الأنبا بولا
البحر الأحمر

قوة الشياطين
للقديس يوحنا ذهبي الفم
(١)

مراجعة وتقديم
نياقة الأنبا بيسنتي
أسقف حلوان والمعصرة

ترجمة
الراهب متى الأنبا بولا

اسم الكتاب : قوة الشياطين
الناشر : دير الأنبا بولا
إعداد : الراهب متى الأنبا بولا
جمع تصويرى : يوستينا للدعاية والإعلان
ت : ٠١٢٤٤٦٣٠٩٢
طبع فى مطبعة د/ فيكتور كيرلس
ت : ٥٩٣٥٧٤٠
رقم الإيداع : ١١٨٤٩ يونيه ٢٠٠٤



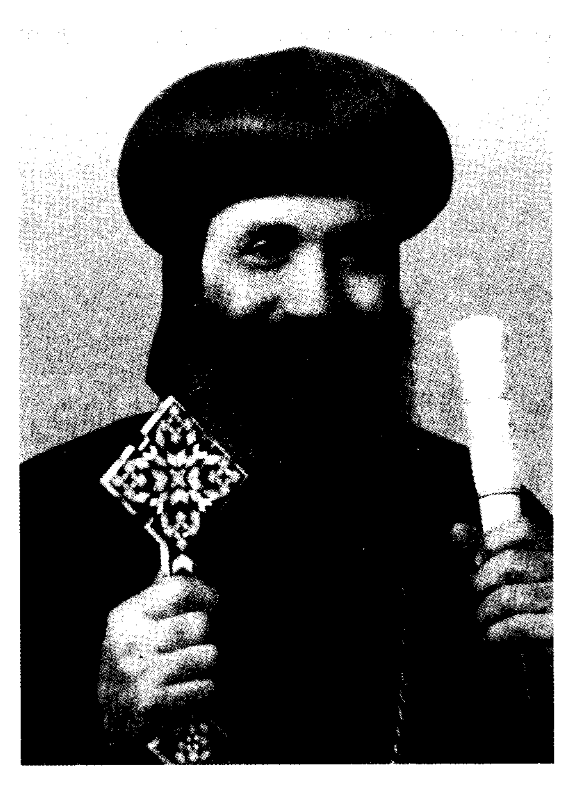
القديس البار الأنبا بولا
أول السواح





قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية





نيافة الأنبا بيسنتى
أسقف حلوان و المعصرة



إهـــــداء

إلى روح أبينا الطوباوى المتنيح الراهب أباكير السريانى

تقديم

هذه المواعظ لأب عظيم من أباء الكنيسة الجامعة حيث عاش هذا القديس العظيم يوحنا ذهبى الفم فى الفترة من سنة ٣٤٧-٤٠٧ م قبل إنقسام الكنيسة فى مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م. وهذا القديس تميزت عظاته بالعمق الروحى وقوة الإقناع ولهذا تسمى باسم ذهبى الفم.

يعالج لنا فى هذه العظات- التى ستستمتع بها أيها القارئ العزيز- داءا روحيا تفشى قديما وحديثا، هذا الداء هو التهاون في الجهاد الروحى. لهذا يؤكد القديس على حرية إرادة الإنسان والمسئولية السلوكية وضرورة الجهاد حتى الدم...

بعد قراءاتك لهذه العظات سوف لا تنزعج من أى تجربة لأنك ستكون متأكدا أنها ستؤول إلى خير روحى

وأبدى، وستلمس قول القديس بولس الرسول "**أن كل الأشياء تعمل للخير للذين يحبون الله**" (رو٨: ٨)... وكذلك "**أستطيع كل شئ في المسيح الذى يقوينى**" (فى٤: ١٣).

شكرا للرب على هذه العظات الممتعة، وشكرا لقدس الأب الموقر الراهب متى الأنبا بولا الذى قام بترجمتها، الرب يعوضه بالخير والرب يجعل هذه العظات سبب تعزية وبركة وقوة روحية، ببركة وصلوات أبينا الطوباوى الحبيب قداسة البابا المعظم البابا شنودة الثالث أدام الله لنا حياته الغالية.

بيسنتى

أسقف حلوان والمعصرة

كلمة شكر

أخى الحبيب. القارئ العزيز..

اسمح لى أن أضع بين يديك هـذا الكتيّب وهـو عبارة عن العظة الأولى من ثلاث عظات عن قوة الشياطين للقديس يوحنا ذهبى الفم ألقاها على شعبه فى أنطاكية، فى هذه العظات يحثهم على المثابرة والجهاد ضد الخطية وينأى بهم عن التراخى والكسل ويدحض بعض البدع والهرطقات الموجودة فى ذلك الوقت.

أشكر الرب الذى أعاننى على ترجمتها عن النص الإنجليزى وقد قمت بإضافة شواهد للآيات.

من أعماق قلبى أتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا بيسنتى- أسقف حلوان والمعصرة- لتشجيعه لى وتفضله بمراجعة وتقديم هذه العظات بالرغم من مسئولياته الجمّة، الرب يديم لنا حياته سنينا عديدة.

كما أننى أشكر أبائى رهبان الدير الذين ساعدونى بمجهودهم وصلواتهم، وأيضا كل من لـــه تعـــب. إلـــه السماء يعوّضهم خيرا فى ملكوته.

أرجو من إلهنا الصالح أن يجعل هذه العظة لمجـــد اسمه القدوس وسبب بركة ومنفعة للكثيـــرين وتعزيـــة للمجربين، بشفاعات القديسة الطاهرة العـــذراء مـــريم، والقديس البار الأنبا بولا أول السواح، وبركة صـــلوات أبينا الطوباوى صاحب القداسة والغبطة البابـــا شـــنودة الثالث- ذهبى الفم هذا الجيل- الرب يعطيه أزمنة هادئة مديدة.

المترجم

مقدمة(*) للراهب و.ر.استفانوس

هذه واحدة من ثلاث مواعظ للقديس يوحنا ذهبي الفم تتناول موضوعًا واحدًا وهو قوة الشياطين ألقاها فى أنطاكية وكان وقتئذ قسًا فى حبرية الأسقف فلافيان.

تتناول هذه العظات بعض الضلالات التى كان يقاومها القديس يوحنا بكل شدة فى زمن ساده الفساد، فكان كثيرون يعلّلون ضعف جهادهم ضد الخطية وعدم ثباتهم هم وغيرهم بالتأكيد على أن العالم يخضع لنفوذ الشياطين وسيطرتهم وأنه أى العالم ماض إلى مصيره المحتوم الذى لا يمكن تغييره.

ولكى يبطل القديس النتائج المأساوية لهذه الفلسفة التى جعلت الإنسان يخضع ويستسلم لتيار شهواته وانفعالاته كان من الضرورى أن يؤكد بكل جرأة وإصرار على

(*) المقدمة بتصرف

إرادة الإنسان الحرة والمسئولية الأخلاقيــة وضــرورة مقاومة إغراءات الخطية بكل جهد كبير وعــزم قــوى. والذى فعله القديس يوحنا فى هذه العظات هو مقاومــة المذهب القائل بأن الشر عنصر متأصّــل فينــا ومكمّــل لطبيعتنا وكان يؤكد أن الشر ليس قوة فطرية متأصــلة فينا، وإذا كان الشر جزء من طبيعتنا فلا يستحق الشجب أكثر من باقى الشهوات والغرائز والنزعــات الطبيعيــة الأخرى.

إن الخطية تأتى نتيجــة انحــراف فــى الهــدف الأخلاقى.

أبوانا الأولان - آدم وحواء - ســقطا نتيجــة الكســل والتوانى وهذا هو السبب الرئيسى للخطية، لقد رسما لنا دربا ونحن نسير فيه ومنذ ذلك الحين ضعفت الإرادة فى كل الأجيال المتعاقبة، وبالرغم من أن الشر ليس عنصرا متأصلا فى الطبيعة البشــرية لكننــا نجــد الإنســان

يميل إليه بسهولة، هذا الميل والانجذاب إلى الشر يجب أن يُقاوم ويُصد بشكل دائم وبكل قوة، وذلك بالجهاد والمثابرة وتهذيب الهدف الأخلاقى وبمساندة النعمة الإلهية طبعا. ومع يقين العلم بأن هناك ميل وانجذاب عام وقوى تجاه الخطية هذا من ناحية، وحرية تامة للإرادة من ناحية أخرى، لذلك يعلن القديس يوحنا محذرا ومشجعا:

يحذر من الضعف والتوانى والإهمال وأيضا من الانحراف عن الهدف المستقيم هذه التى تؤدى إلى السقوط.

ويشجع لاستخدام كل القوى التى منحت للإنسان مع الارتكاز على طول أناة الله ومحبته وأيضا رغبته فى معاونة هؤلاء الذين لا *ييأسون*.

إن اليأس من أقوى أسلحة الشيطان الفتّاكة لتدمير وإهلاك الإنسان لأنه يمنعه من القيام والنهوض ثانية من سقطته.

القديس بولس الرسول ندم ولكنه لم ييأس فأصبح مساويا للملائكة، ويهوذا ندم لكنه يأس فاندفع إلى الجحيم.

الموعظة الأولى

الرد على أولئك الذين يقولون أن الشـــياطين تتحكم فى شئون الإنسان، والذين يستاءون من تأديبـــات الله ويعترضـــون لازدهـــار الأشـــرار وينزعجون لمتاعب الأبرار.

الحماس الكبير للجمهور سامعى القديس يوحنا

فى الحقيقة كنت أود من استمرار حديثى أن تشبعوا وتتخموا من كلماتى لكن أرى أن العكس قد حدث فان رغبتكم فى الاستماع قد ازدادت وحدثت إضافة لا لتخمتكم ولا لشبعكم لكن لمتعتكم وتشوّقكم. نفس الشيء يحدث عند شرِّيبى الخمر فى اجتماعات السكر عند الوثنيين فكلما أكثروا من الشراب ازدادوا عطشا، وأنتم أيضا كلما غرسنا فيكم تعاليماً أكثر ازداد تشوّقكم وكثرت رغبتكم وقويت محبتكم. ومع أننى شاعر بفقرى الشديد لكننى لا أكفّ عن تقليد المتفاخر فى المضيفين مقدّما لكم مائدتى واضعا عليها كأس تعليمى الممتلئة عن أخرها التى بعد تناولكم إياها تعودوا للظمأ من جديد وهذا أصبح واضحا على الدوام وخصوصا منذ يوم الرب (الأحد) الماضى بعد تناولكم من الأسرار المقدسة.

فى ذلك اليوم خاصة عندما حدثتكم عن خطيــة الإدانــة وأوضحت لكم أنه يجب على المرء أن يدين نفســه ولا ينشغل بخطايا الغير، وأظهرت كيــف كــان القديســون يدينون أنفسهم ويبرؤون الآخرين، واستشهدت بالقديس بولس الرسول الذى أعتبر نفسه أول الخطاة وأنه كــان مجَدفا ومضطهدا ومفتريا ويــدعو نفســه كالســقط ولا يستحق أن يدعى رسولا لكن الله رحمــه "**أنا الذى كنت قــبلا مجــدفا و مضــطهدا و مفتريــا و لكــننى رحمــت**" (١تى١ :١٣).

وبطرس الرسول يقول "**أخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطئ**" (لو٥: ٨).

ومتى الإنجيلي يدعو نفسه عشّارا حتى بعــد أن صــار رسولا.

وداود النبي يصرخ قائلا: "**إن آثامى طمت فوق رأسى مثل حمل لم أستطع حمله**" (مز٣٨: ٤٠).

وأشعياء النبي ينــوح "**ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين**" (أش٦: ٥).

والثلاثة فتية فى آتون النار يعترفون قائلين أنهم خطــاة وعصاة ولم يحفظوا وصايا الله.

وهكذا قال دانيال أيضا

بعد أن ذكرت هؤلاء القديسين فــأنى أشــبّه مــن يدينوا الآخرين بالذباب الذى يتهافت على جروح النــاس كذلك هم أيضا يركزون على خطايا الغير جالبين أمراضا لأنفسهم، أما الذين يفعلون النقيض أشبّههم بالنحل فأنهم لا يسببون أمراضا لكنهم يبنون بيوتا من العسل بــولاء عظيم محلقين إلى مروج فضائل القديسين.

فى ذلك اليوم بيّنتم مدى تشوّقكم عنــدما أطلــت الحديث جدا لدرجة لم تحدث من قبل وكثيــرون كــانوا يتوقعون أن تعطشكم سينطفئ لوفرة ما سمعتم، لكن مــا حدث هو العكس فقد ازدادت قلوبكم دفئا واشتعلت

رغبتكم التهابا والدليل على ذلك، الهتاف العظيم الذى حدث فى نهاية العظة وكم كان مدوّيا.

نفس الشىء يحدث فى دكان الحداد: فى البداية يكون ضوء النيران غير واضحا لكن عندما تمسك النار بكل الخشب الموضوع فوقها فان ألسنة اللهب ترتفع عاليا. هذا رأيته في ذلك اليوم، حماس الحاضرين لم يكن جارفا فى البداية لكن عندما امتد الحديث وتناولنا موضوعات شتَى واتسعت المناقشة، وتوهجت الرغبة في الاستماع واندلع الهتاف. وعلى الرغم من أننى كنت قد أعددت نفسى ألاّ أتكلم كثيرا لكن هذا ما حدث. فهل تجاوزت الحد!! كلاّ لأننى اعتدت قياس مقدار التعليم ليس بكثرة ما يقال من كلمات لكن باستعداد السامعين. فإن الذى يواجه مستمعين متبرَمين حتى وإن اختصر فىحديثه يعتبرونه مثيرًا لغيظهم، أما من يواجه مستمعين شغوفين يقظين فمهما أطال الحديث لم يشبع رغبتهم بل يريدوا المزيد.

بالطبع فى وسط هذا الجمع الغفير هناك بعض النفوس الضعيفة غير القادرة على متابعة الحديث المستفيض هؤلاء أقترح عليهم أن يسمعوا على قدر طاقتهم ثم ينصرفوا، لا أحد يمنعهم ولا أحد يجبرهم على البقاء لسماع المزيد لكن هذا أيضا لا يستلزم اختصار المحاضرة وإنهاءها قبل الوقت.

أحيانًا أنت تشبع لكن أخاك مازال جائعا، أنت ارتويت لكن أخاك مازال ظمأنًا. لا يؤرّقك ضعفك ولا تجبر نفسك لاستيعاب أكثر مما تحتمل، ولا تثير غيظ أخيك بمنعه من استماع كل ما يستطيع.

هذا يحدث أيضا فى أعياد العلمانيين، البعض يشبعون بسرعة والبعض يبطئون، ولا يلوم هؤلاء أولئك ولا أولئك يدينون هؤلاء لكن عندهم الذى ينسحب بسرعة يستحق المديح لكن فى اجتماعاتنا نحن من ينصرف سريعًا لا يستحق الثناء لكنه معذور. هناك من

يتباطأ فى الانصراف يلام أما عندنا مــن يبقــى طــويلا يُمدح. التأخير والتباطؤ هناك ينشأن من الطمع والشره، لكن هنا الاحتمال والصــبر ينشــأن مــن الرغبــة فــى الروحيات والاشتياق إلى الإلهيات.

محبة الله الحانية للبشر بالرغم من جحود الانسان

نكتفى بهذه المقدمة ونواصل حديثنا عن موضــوع تعدد الألسنة والذى لم نستكمله فى ذلك اليوم.

كان للجميع لغة واحدة كما هــم أيضــا طبيعــة واحدة، فمن أين أتى تعدد الألسنة؟

أجيب: من إهمال أولئك الذين قبلوا العطية ولم يحفظوها. هذه القضية تبين لنا محبة الله الحانيــة الــذى أعطــى الجميع لسانا واحدا، ومدى حماقة أولئك العبيــد التــى جلبت تعدد الألسنة، فعلى الرغم من علم الله السابق بأننا سنبدد العطية أعطاها لنا، أما أولئك العبيد الذين ائتمنوا عليها فقد جلبوا عليهم شرا عظيما.

هذه إحدى طرق الإيضاح: أن الله لا يسلب العطية منّا لكن نحن الذين نبددها. والثانية هى أن الله أعطانا نعمًا أعظم بكثير من تلك التى فقدناها. بدلاً من التعب فى هذا الزمان الله أنعم لنا بالحياة الأبدية وعوضًا عن الشوك والحسك جعل ثمار الروح تنمو فى أنفسنا.

الإنسان لم تكن له قيمة تذكر لكن الآن لم يعد هناك من هو أعظم شرفا منه. لقد كان الأخير فى الخليقة العاقلة لكن الآن وبواسطة البكر رفعنا الى العرش الملكى.

تماما مثل إنسان غنى كريم رأى شخصًا وقد نجا عريانا من البحر وأمواجه بعد تحطم سفينته فأخذه على يديه محتضنا إياه وألبسه رداء فاخرا ورفعه إلى قمة الشرف والمجد هكذا فعل الله بطبيعتنا فبعد أن أضاع الإنسان كل ماكان يتمتع به. أعنى صلته الحميمة بالخالق وإقامته فى الفردوس هانئا بحياة آمنة مطمئنة.

خرج عريانا كمن تحطمت سفينته، لكن على الفور إلتقاه الله وكساه وأخذ بيده ورويدا رويدا رفعه إلى السماوات.

وعلى الرغم من أن تحطم السفينة هنا لا عذر للإنسان فيه لأنه لم يكن نتيجة للرياح العاتية والعواصف القوية لكن لإهمال البحَار نفسه، مع هذا فإن الله تحنن عليه ورثى لنكبته الضخمة، والإنسان الذى انكسرت سفينته فى الميناء عامله الله بكل الحب والشفقة مثل من تتحطم سفينته فى وسط البحر. لأن من يسقط وهو فى الفردوس يشبه تماما من تتحطم سفينته فى الميناء. لماذا؟.. لأن هناك فى الفردوس لا حزن ولا غم، لا تعب ولا كد، ولا أمواج متلاحقة من الرغبات والشهوات تهاجم طبيعتنا ومع ذلك فسد آدم وسقط.

ماذا يفعل لصوص البحر؟.. يثقبون السفينة بآلة حديدية صغيرة ثم يتركونها لمياه البحر تغرقها. هكذا فعل الشيطان بآدم عندما رأى سفينته التى هى نفسه مملوءة

من كل صلاح، أتى وثقبها بكلامه الملق المخادع وأفرغه من كل ثروته وأغرق سفينته. لكن شكرا لله فقد جعل الربح أعظم من الخسارة إذ رفع طبيعتنا إلى العرش الملكى. لذلك هتف الرسول بولس قائلا "**أقامنا وأجلسنا معه في السماوات ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع**" (أف ٣: ٧).

لعلك تتساءل قائلا: الحدث تم فعلا فلماذا يقول كي يظهر فى الدهور الآتية، ألم يظهر بعد ؟.. نعم لقد أظهره وبيّنه لكن ليس للجميع لكن لنا نحن المؤمنون أما غير المؤمنين فلم يدركوا الأعجوبة بعد.

فى ذلك اليوم كافة البشر سيأتون ويقفون أمامه ويتعجبون مما سيرون أما لنا فسيكون كل شئ أكثر جليانا نحن الذين آمنا وصدّقنا بمجرد السمع غير أن السمع ليس كالرؤية لا يضع أمامنا الحقيقة كما هى.

تماما مثلما نسمع عن الملك والرداء الارجوانى وصولجان الحكم والحلة الذهبية والعرش الملكى نتعجب ونذهل لكن بدرجة لا تقارن إذا ما رأينا الملك جالسًا على كرسيه العظيم، كذلك سنرى وحيد الجنس عندما تزاح ستائر السماوات وملك الملوك ينزل تحيط به الطغمات السماوية حينئذ نعاين الأعجوبة التى هى فوق إدراكنا بما لا يقاس.

تأملوا وتعجبوا وانظروا طبيعتنا وهى محمولة على الشاروبيم وكل القوّات الملائكية تحيط بها.

انظروا إلى حكمة بولس الرسول كيف يجتهد باحثا عن تعبيرات كى يظهر لنا مدى حنان الله، فلم يورد كلمتا الغنى والنعمة مجردتين لكنه قال "**غنى نعمته الفائق باللطف علينا**". ومع ذلك لم يف بالغرض ولم يصل إلى بغيته. وكما تنزلق الأجسام الملساء عند محاولة الأيدى الإمساك بها مرات عديدة كذلك نحن أيضا لا نقدر

أن نصف حنان الله مهما أوتينا من بلاغة لأنـــه دائمـــا يفوق ضعف تعبيراتنا. ولأن القديس بولس اختبر هـــذا وأدرك أنه مهما قويت التعبيرات فإنها تنهزم أمام حنـــان الله الفائق لذلك كف عن الكلام بعد عبارته هذه "**نشـــكر الله علـــى عطيـــته الـــتى لا يعـــبر عنـــها**" (٢كو٩: ١٥).

ما من لسان أو عقل يقـــدر أن يبـــين حنـــان الله ومحبته الفائقة للبشر، وهذا ما جعل بـــولس الرســـول يقـــول "**سلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم**" (فى٤: ٧).

محبة الله تظهر فى عطاياه وأيضا فى الحرمان منها

أوردت لكم طريقتين لإيضاح محبـــة الله الحانيـــة نحو البشر

الأولى: أن الله لم ينتزع العطية منا لكن نحـــن الـــذين أضعناها. الثانيـــــة: أن الله منحنا بركات أعظم من تلك التى بددناها.

أود هنا أن أضيف أخرى ثالثة وهـــى: حتـــى إن

لم يعطنا الله ما هو أعظم واسترد ما قد سبق وأعطاه فإن هذا فى حد ذاته كافيا لإظهار محبته وحنانه الفائق نحونا. والآن أوضح لكم هذا الكلام:

الله أسكن الإنسان الفردوس، لكن الإنسان بإهماله ورعونته أظهر أنه غير جدير بهذه العطية فاستردها الله ثانية وهذا لصلاح الله.

يتساءل أحدكم: أى نوع من الصلاح هذا أن يعطى ثم يرجع ويأخذ ما أعطاه؟.. مهلا وأنصت إلىّ: هل تعتقد أنه كان من الصالح لقايين أن يسكن الفردوس بعد أن ارتكب جريمته؟ لقد كان مطرودا ومحكوما عليه بالتعب والكدح والعناء وناظرا خطر الموت يخيّم فوق رأسه ويرى بليّة أبيه أمام عينيه وآثار غضب الله فى يديه ويكتنفه رعب وفزع عظيم وبالرغم من هذا كلّه اندفع إلى هذا الشر الكبير وذبح أخاه الذى لم يسيئ إليه وصبغ يمينه بدمه وعندما أراد الله تهدئته رفض الإذعان

وتحدى خالقه وأهان والديه. هذا الإنسان إن لـم يطـرد خارج الفردوس ترى إلى أى شر عظيم كان سـيتردى! لأنه بالرغم من القيود والحواجز التى وضعت حوله قفز هذه القفزة القاتلة.

هيا بنا نتعلم من حواء أم هذا الرجل وكيف كـان الخروج من الفردوس ذا نفع عظيم لها. قارن كيف كانت فى الفردوس وكيف أصبحت بعده، تأملهـا وهـى فـى الفردوس وتأملها بعد الطرد منه. قبلا كانت تصدّق كلام الشيطان المخادع، إبليس الخبيث أكثر من وصـايا الله، وبنظرة إلى الشجرة وطأت بقدميها ناموس الله أما بعـد الطرد من الفردوس نراها أكثر حكمة فعند ولادتها ابنـا قالت: "**قد اقتنيت رجلا من لدُن الرب**" (تك ٤: ١). على الفور تفكّرت فى الله - الذى قبلا احتقرت كلامه - ولم تنسب إنجاب الطفل إلى قوانين الطبيعة والزواج إنما تعترف بالشكر لرب الطبيعة. هذه المرأة التـى أغـوت

زوجها قبلا نجدها تعلِّم طفلها وتدعوه باسم يذكَرها دائما بعطية الله. وحين ولادتها آخر قالت: "**الرب وضع لى نسلاً عوضًا عن هابيل لأن قايين كان قتله**" (تك ٤: ٢٥). إنها تتذكر الكارثة والبلوى لكنها أصبحت صبورة شاكرة الله على الدوام وتدعو طفلها عطيته وتغرس فيه كل ما هو جوهرى وضرورى للتعليم والتهذيب.

الله دائما يبغى منفعتنا حتى إن حرمنا من بعض الأشياء. فحواء التى طُردت من الفردوس نجد الله يقودها بهذا الطرد إلى معرفته الصحيحة. نعم لقد نالت أعظم مما فقدت!.

لعل أحد يتساءل: لماذا أسكنَ الله الإنسان الفردوس إذن، إذا كان الخروج منه نافعا؟.

الإنسان بإهماله استحق الطرد لكن الله جعل هذا أيضا يعود عليه بالخير. فإن كان آدم وحواء انتبها إلى

نفسيهما وقدما الشكر لله الخالق وعرفا كيف ينضبطا لبقيا فى شرف السكنى فى الفردوس غير أنهما تعاملا مع عطايا الله بعجرفة فأصبح من الصالح لهما أن يُطردا. وأيضا كى يُظهر لنا الله مسبقا محبته الحانية أعد لنا شرفا أعظم يحضرنا إليه. نعم نحن الذين جلبنا على ذواتنا التأديب والعقاب، وأخرجنا أنفسنا من الفردوس لعدم اهتمامنا بالخيرات التى وهبنا إياها الله.

تماما مثل أب حنون يسمح لابنه بالسكنى في منزله والتمتع بكل خيراته لكن حينما يجد ابنه غير جدير بهذا الشرف فإنه يستقصيه من مائدته ويغض النظر عنه ثم أخيرا يطرده من بيته، علّه بمعاناته الطرد والازدراء والمهانة يصير إلى حال أفضل ويُظهر أنه أصبح أهلا للعودة إلى حضن أبيه وميراثه.

هذا ما فعله الله مع الإنسان أسكنه الفردوس وعندما أظهر الإنسان عدم استحقاقه طرده خارجا بغية

أن يؤول إلى حال أفضل ويظهر سلوكا منضبطا به يتأهل للعودة ثانية ويسمع الصوت القائل: "**اليوم تكون معى في الفردوس**" (مت٢٥: ١٦).

ألم تروا معى أنه ليس فقط السكنى فى الفردوس لكن أيضا الطرد منه برهانا على محبة الله الفائقة لنا! ومن لم يعان الطرد من الفردوس فكيف يظهر أنه مستحقا له ثانية؟.

برج بابل وبلبلة الألسنة :

دعونا نطبق هذا على موضوع تعدد الألسنة.

الله أعطى البشر جميعا أن يتكلموا لغة واحدة وهذا جزء من محبته لهم. ولأنهم لم يحسنوا استخدام هذه العطية وسقطوا فى حماقة مطبقة حرمهم منها. كانوا يتكلمون لغة واحدة ومع ذلك انزلقوا فى جهل كبير وبدأوا فى تشييد برج يصل الى السماء، وعلى الفور عاقبهم الله لأنهم إن لم يؤدبوا لرغبوا فى الوصول الى

السماء والامساك بها وبالرغم من استحالة ذلـــك إلا أن هذه هى أفكارهم الأثيمة والتى وضحت من عملهم.

نتأمل معا محبة الله الحانية فى قوله "**هوذا لسان واحد لجميعهـــم وهـــذا هـــو ابتداؤهـــم بالعمـــل**". (تك ١١ : ٦)

إذن لماذا لم يبلبل الله ألسنتهم من البداية؟

الله قبل أن يفعل نجده يدافع عن نفسه وكأنه سوف يقف متهما فى محكمة لم يدع أحدا يتهمه قائلا: لماذا فعلـت هكذا؟ نعم هو الله ويفعل ما يشاء لكننا نراه وكأنه سوف يعطى حسابا عن عمله. يقدم دفاعا معلّما إيّانا أن نكون لطفاء ودودين، لأنه وهو السيد يدافع عن نفســه أمـام عبيده فكم بالأحرى نحن! يجب أن ندافع عــن أنفسـنا بعضنا تجاه البعض متى أستذنبنا. انظروا كيف يدافع الله عــن نفســه "**هوذا لسان واحد لجميعهم وهذا هو ابتداؤهم بالعمل**". وكأنه يقول إننى لا أترك أحدا يلومنى

عندما يرى تعدد الألسنة، ولا أدع آخر يظن أن تعدد الألسنة كان من البدء "**إنهم فم واحد ولسان واحد لجميعهم**". لكنهم لم يحسنوا استخدام العطية. ولكي نفهم أنه لا يبغى معاقبتهم على ما فعلوا بقدر ما يقصد إصلاحهم نتابع معا "**والآن لا يمتنع عليهم شئ في كل ما ينوون أن يفعلوه**". (تك ١١: ٦)

أولئك الناس إن لم يُعاقبوا على التو ويُردعوا تماما على خطاياهم فلن يتوقفوا أبدا عن شرّهم. وهذا ما يعنيه بقوله "**لا شئ يمتنع عليهم في كل ما ينوون أن يفعلوه**". وكأنه يقول أنهم سوف يرتكبون أعمالا أكثر فظاعة وبشاعة لأن هذا الشر متى ابتدأ لن يتوقف، تماما مثلما تمسك النار بالخشب فإنها ترتفع ارتفاعا شاهقا. ألم ترون أن حرمانهم من وحدة اللغة هو من عظيم محبة الله لهم. لقد بلبل ألسنتهم كي لا يسقطوا في شر أعظم.

ليت ما سأقوله الآن يظل راسخا فى عقــولكم: أن الله ليس فقط عندما يهب عطايا يكون لطيفا ومحبا لكــن عندما يؤدب ويعاقب أيضا.

إن تأديب الله وعقابه أحيانا يمثل الجزء الأكبر من إحسانه والصورة العظمى من تدبيره، لذلك حينما تجــد مجاعات تحدث أو أوبئة، جفافا أو فيضانات أو تقلُبــات فى الطقس أو شئ تظن أنه عقاب للبشر لا تغتمَ ولا تدع اليأس ينتابك لكن بارك الرب الذى جعل تلــك الأشــياء وتعجب منه على عنايته لأنه سمح بذلك لعقاب الجســد كى تصحَ الروح.

هل الله هو الذى يفعل هــذه الأشــياء؟ يتســاءل أحدكم.

نعم الله هو الذى يفعل هذه الأشياء. أقول هذا ولا أخجل حتى وإن كانت المدينة كلها هاهنا أو العالم كلــه فــأنى لأمتنع عن قول هذا، لعل صوتى يصير أوضح من البوق

وأقف فى أعلى مكان وأصيح بأعلى صوتى لكل البشـــر معلنا أن الله هو الذى يفعل هذه الأشياء، لا أقول هذا فى كبرياء أو عجرفة لكن النبى يقف بجانبى ويؤيدنى قائلا: "**ليس هناك بليّة فى المدينة إلا والرب فاعلها**". (عا ٣ : ٦).

كلمة شر ومعانيها المختلفة

كلمة شر- كلمة غامضة - والآن أود أن تعرفـــوا المعنى الصحيح لهذه الكلمة لأنه بسبب غموض المعنـــى تختلط عليكم الأمور وربما تسقطوا فى التجديف. هناك شر، نعم شر حقيقى مثل: الزنا، الفسق، الطمع، الحســـد وغيرها من الأشياء الفظيعة التى تستوجب أقصى درجات التأديب والعقاب. ويوجد مايطلق عليه شر لكنـــه لـــيس شرًا على الإطلاق مثل: الأوبئة، الموت، المـــرض ومـــا شابهها. هذه ليست شرورا إنما تدعى هكذا. كيف تكون شرورا وهـــى تجـــلب صـــلاحـــا لنـــا فهـــى تؤدبنـــا

على كبريائنا تنخسنا متى تكاسلنا، تحسنا على الحماس، وتجعلنا أكثر انتباهًا ويقظة.

يقول أحدهم "**إذ قتلهم طلبوه و رجعوا و بكروا الى الله**". (مز ٧٨ : ٣٤). ويدعو هذا شرًا، الذى كان سبب تأديب لهم وصيَّرهم أكثر طهارة ونقاوة، وملأهم بالحماس، وقادهم إلي محبة الحكمة. كيف يكون شرًا!..

وعلى النقيض الأشياء التى ذكرناها التى تستوجب الدينونة، التى ليست من عمل الله لكنها من اختراع البشر وتسبب هلاك آخرين.

أيضا المعاناة التى نكابدها من التأديب يدعونها شرًا. هذا لأن الإنسان يراها هكذا وليس اعتبارا إلى طبيعتها لأننا اعتدنا أن نطلق كلمة شر ليس فقط على السرقة والزنا، إنما على المحن والكوارث أيضا. وهذا ما قاله النبى "**ليس بليّة في المدينة الا والرب فاعلها**".

وهذا ما يعنيه أشعياء النبى أن الله يقول بوضوح

"أنا الله صانع السلام وخالق الشر" (أش٤٥ :٧). داعيا أيضًا النكبات والكوارث شرورا. وذلك ما أشار إليه الرب يسوع قائلا لتلاميذه **"يكفى اليوم شره"** (مت٣:٦) ويعنى المعاناة والبؤس.

من ثم يتضح أن الله نفسه يدعو التأديبات شرا، وهو نفسه يجلبها علينا مانحا إيانا معاينة تدبيره الإلهى العظيم.

هل يُحمد الطبيب فقط حينما يسمح للمريض بالخروج إلى الحدائق والذهاب الى حمام السباحة والتناول من كافة الأطعمة! لكن عندما يطلب منه عدم تناول بعض الأطعمة أو يرغمه على الجوع والعطش لبعض الوقت وملازمة الفراش ويجعله حبيس المنزل ويحرمه من الضوء مظللا غرفته بالستائر وأكثر من هذا أحيانا يكوى ويبتر ويأمر بالأدوية المرّة ألم يكن لذلك طبيبا ؟..

هل من الصواب الاَ ندعوه طبيبًا لأنه فعل هذه الأشـياء التى نعتبرها شروراً؟

فلماذا نلوم الله ونجدّف عليه إذا فعل واحدة من هذه: إذا أتى بمجاعة أو موت أو غيرها. لماذا نرفض تدبيره؟ مع أنه هو الطبيب الحقيقى الوحيد لأرواحنا وأجسادنا لـذلك يضبط طبيعتنا التى تطيش وتتهـور وتـتمخض بحمـى الخطايا. وبالحرمان والجوع والعطش، وأحيانا بـالموت وكوارث أخرى وأدوية مختلفة يعرفها هو، يحررنا مـن خطايانا ويشفينا من أمراضنا.

يقول واحد: الفقير وحده فقط الذى يعانى الجوع:

أقول: الله لا يؤدّب بالجوع فقط لكن بأشياء كثيرة. ربما بالجوع يؤدّب الفقير أما الغنى الـذى يعـيش مترفّهـا فبالأخطار والأمراض والموت المفاجئ يؤدّب.

الله كلّى النعم لديه أدوية عديدة ومتنوعة لأجل خلاصنا.

القضاة والحكام يكرمون ويتوّجون ويعطون مكافآت، لكنهم أيضا يؤدّبون البعض فها السيف مستل والعذاب مُعدُ - المطرقة ودولاب التعذيب- والجلادون مستعدون، وأشكال لا تحصى للتأديب والعقاب.

إن المجاعة لله كالجلاد للقاضى يسمح بها كي يصلحنا ويقودنا بعيدا عن الرذيلة.

مثل آخر: الكرّامون الذين يحافظون على الكرم، يسيّجون حوله، ويشذبونه ليس هذا فقط إنما أيضا يقطعون بعض الأغصان لهذا لديهم المعول وأيضا المنجل الذى يقطع ولا نجد عيبا فى هذا لكن بالأحرى نمتدحهم عندما نراهم يقطعون الأغصان غير النافعة، كى بإزالة ما هو غير صالح تمنح حياة آمنة للبقية.

الآن نحن نوافق الأب والطبيب والقاضى والكرَّام ولا نلوم الأب الذى يطرد أبنه خارج المنزل، ولا الطبيب الذى يمنع الطعام عن مريضه، ولا القاضى

الذى يصلح ويؤدّب. ولا الكرّام الذى يشذّب. لكننا نلوم الله ونوجه له الاتهامات العديدة إذا أيقظنا فى وقت ما من سبى عقولنا وجنونا الذى نحن فيه نترنح نتيجة شرورنا.

ياله من جنون مطبق إننا لا نسمح لله بنفس القدر من تبرير الذات الذى نسمح به للعبيد رفقائنا.

إنني أخشى على هؤلاء الذين يدينون الله لهذا أتكلم أخشى أن يرفسوا مناخس فتتخضب أرجلهم بالدماء، وأخاف عليهم أن يلقوا بالحجارة إلى فوق فتسقط على رووسهم وتصيبهم بالجراح.

هناك شئ آخر: إن أخذ الله شيئا منا فهذا لمنفعتنا وحتى إن لم يكن كذلك من يقدر أن يلومه انه الرب ونحن جبلته.

نحن البشر عندما يأتمنا البعض على مالهم ويقرضوننا جزءا منه لبعض الوقت، ألم نشكرهم على

هذا، وهل نسخط عليهم حينما يستردون ما سبق وأعطونا. فلماذا نلوم الله عندما يسترد وديعته . أليس هذا قمة الحماقة منّا ؟ أيوب البار العظيم لم يفعل هكذا لكنَه كان دائم الشكر لله، وعندما حرمه الله من كل شئ قال: "**الرب أعطى، الرب أخذ فليكن اسم الرب مباركًا**" (أيوب٧:٥).

إذن ينبغي علينا الشكر فى كل حال، لأن الحرمان نافع لنا كما العطية. فأى معذرة وأي مغفرة لنا إن تذمّرنا وضجرنا بدلا من أن نباركه.

تدبير الله الحنون وخبث الشياطين

إن تدبير الله وعنايته لهما أكثر وضوحا من الشمس، ومع هذا يتجاسر البعض ويقولوا أن الشياطين تدير أمور حياتنا. سيدنا كم هو مُحب يفضّل بالأحرى أن تلومه ولا تنسب تدبير أمورك إلى الشياطين. وسوف يعرّفك حقيقتهم، وطبيعة عملهم وستدرك حينئذ مدى شرهم.

أحبائى: يجدر بى الآن أن أضع أمامكم هذا المثال: هذا الرجل الذى كانت الشياطين تسكنه وكان يسكن القبور. عندما تقابل مع يسوع، طلبت الشياطين بتوسل إلى الرب أن يأذن لها بالدخول فى قطيع الخنازير. فأذن لها وعلى الفور اندفع القطيع كله من على الجرف إلى البحر ومات.

هكذا تعمل الشياطين وهكذا تتصرف. انظروا ماذا فعلت بالخنازير التى لا اعتبار ولا قيمة لها عند الشياطين، التى لاتحسب لها حسابا. أمّا نحن لها معنا حرب أبدية لا مهادنة فيها، ومعركة لا تخمد، وكراهية لا تموت. إذا كانت لم تمهل الخنازير لحظة تلتقط فيها أنفاسها- الخنازير التى لاشيء مشترك بينهم- فماذا كانت تفعل بنا إذا سمح لها الله باستخدام كل قوّتها، نحن الذين تعتبرنا أعداءها ودائما نوخزها. أي آذى كانت ستلحقه بنا؟ لذا سمح الله لها بالدخول فى الخنازير.

بغيـــة أن نعرف مدى شرها عندما نرى ما تفعله بهـــذه الحيوانات غير العاقلة. وأقـــول لكـــم أن هـــذا الإنســـان المجنون حتى أثناء سكنى الشياطين فيه لم يحـــرم مـــن عناية الله الذى حفظه ومنع الشياطين أن تفعل بـــه مـــا فعلته بالخنازير. لذلك عندما نرى إنسانا هائجا بـــه روح نجس يجب علينا أن نبارك الرب الـــذى جعلنـــا نـــدرك شيئين: شر الشياطين، وحنان الله.

شر الشـــيطان الـــذى يـــزعج روح الإنســـان ويجعلهـــا مضطربة. وحنان الله الذى يخفف ويمنع وحشـــية هـــذا الشيطان الذى يريد أن يطرح هذا الإنسان ميتا. حنان الله الذى لم يسمح له باستخدام قوته كاملة لكن جزءا منهـــا فقط. كى بهذا يرجع الإنسان إلى صوابه. ويجعـــل شـــر الشيطان ظاهرا.

هل ترغبون أن أقدم لكم مثلاً آخر لتروا ثانية كيف تدير الشياطـــين الأمـــور عندمـــا يســـمح لهـــا الله

باستخدام قوّتها؟ تأملوا أيوب أنظروا كيف فـى لحظـة واحدة فتك الشيطان بقطعان غنمه جميعها، تفكروا فـى الموت المأساوي لجميع أبنائه وأيضا تجربـة جسـده، وسوف تدركون مدى وحشيّة الشياطين التى لا ترحم.

من هذا نعلم بوضوح إن أتمن الله الشياطين علـى هـذا العالم وسلّمه لسلطانهم كم سيصبح مرتبكـا ومشوشـا وتسوده الفوضى، ولفعلوا بنـا كمـا فعلـوا بالخنـازير وقطعان غنم أيوب ولا أمهلونا لحظة نلتقط فيها أنفاسنا.

إذا كانت الشياطين هى التى تمسك بزمام الأمـور لما كنا نحن أفضل حالاً من ذلك الإنسان المجنون ساكن القبور نعم كنّا أسوأ منه، لأن الله لم يسلّمه بالتمام الـى طغيان الشيطان المستبد وإلاّ كابد ما هو أفظع بكثير.

إنني أسأل أولئك القوم الذين يقولون أن الشياطين هى التى تدير أمور حياتنـا، أي نـوع مـن الفوضـى والارتباك يلاحظون فى الوقت الحالى؟ وها نحن ننظـر

الشمس فى مدارها منذ آلاف السنين، والنجـوم تحفـظ نظامها، والقمر يسير فى مساره بغيـر عـائق، والليـل والنهار يتعاقبان. كل الأشياء سواء من فـوق أو مـن أسفل كما هى تسير فى توافق عجيب ودقيق. نعم الكل فى مكانه لا يبرحه ولا يتخطاه كما رسـم لـه الله منـذ البدء.

ازدهار بعض الأشرار ومحن بعض الأبرار هل يتفق مع عدل الله ؟

مالفائدة من كل هذا ؟ يتسـاءل واحـد، نعـم السـماء والشمس والقمر وكافة النجوم وكل الأشياء تسـير فـى نظام بديع. لكن أمور حياتنا مليئة بالفوضى والتشويش، فنجد إنسانا غنيًا متغطرسا طمّاعًا جشعًا يستنزف قـوت الفقراء يوما بعد يوم ومع ذلك لا تصيبه أي من المحن، ونشاهد آخر يحيا حياة الصبر وضبط النفس والاستقامة ويتحلى بكل الصفات الحميدة ومع ذلـك نـراه مجرّبـا

بالفاقة والمرض وكل البلايا!.

هل هذه الأشياء تعثرك؟.. هل إذا رأيت الطماع يُعاقب والذي يحيا فى الفضيلة يتمتع بالخيرات العديدة تغيّر رأيك وتقتنع بأن الله هو ضابط الكل؟.

عندما تجد شخصين شرّيرين أحدهما يُعاقب هنا على الأرض من قبل الله والآخر لا، وأثنين صالحين الواحد مكرّما والثانى مجرّبًا فإن هذا من عظيم تدبير *الله*.

إذا عاقب الله كل الأشرار هنا على الأرض وأكرم كل الأبرار فما الداعي ليوم الدينونة؟.. وأيضا إن لم يعاقب بعض الأشرار هنا فى هذا العالم، ولم يكافئ بعض الأبرار، فإن الدنئ يزداد فى دناءته والذين يدينون الله لن يكفّوا عن التجديف عليه قائلين أن شئون حياتهم لا تخضع لتدبيره.

فى حياتنا نرى بعض الأشرار يُؤدّبون وأيضا بعض الأبرار يُجرّبون، هل معنى هذا أن أمور حياتنا

لا تخضع لترتيب، وهل يحلَ لهؤلاء الناس أن ينطقوا بما يحلو لهم من تجاديف؟. الله لا يُعاقب ويؤدِّب كل الأشرار هنا على الأرض، ولا يكافئ جميع الأبرار أيضا لماذا؟. لأنه جعل هناك قيامة ويوم دينونة. لكنه يؤدِّب بعض الكسالى بغية أن يرى الباقون تأديبهم فينهضوا من كسلهم. ويكافئ بعض الأبرار حتى يرى الآخرون مكافأتهم فيقتدون بفضائلهم. الله لا يكرم كل الصالحين هنا لأنهم سينالون مجازاتهم هناك فى الأبدية. إذا نال جميع الناس أجرتهم هنا فى الدنيا فسوف لا يؤمن أحد بالقيامة، وأيضا إذا ترك الجميع ولم يجاز بعضا منهم فإن الأغلبية يتمادون فى توانيهم. من هذا المنطلق يؤدِّب الله البعض ويترك الآخر، مميزا بين هؤلاء الذين يُعاقبون وأولئك الذين لايُعاقبون، الذين لا يعاقبون ينأى بشرهم عن هؤلاء الذين بالتأديب يصيروا أكثر انضباطا.

يتضح هذا مما قاله السيد المسيح نفسه عندما أخبر الجموع عن هؤلاء القوم الذين سقط عليهم البرج في سلوام وأماتهم "**ماذا تظنون! هل أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام وقتلهم كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين في أورشليم؟ كلاّ أقول لكم إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون**" (لو ١٢: ٤-٥). أولئك الذين هلكوا، بسبب ذنوبهم هلكوا، أمّا البقية التي لم تهلك ليس كونهم أبرارا نجوا - لا- لكنهم كي يتوبوا اذا ماراوا عقاب الآخرين.

أولئك الذين هلكوا وقع عليهم ظلم إذن - يقول واحد- لأنهم ربما تابوا إذا أتيحت الفرصة لهم بدلا من هلاكهم.

أجيب قائلا: الله عالم بكل شئ ويعرف أنهم لن يتوبوا حتى إذا رأوا عقاب آخرين.

الله بعلمه السابق يعلم أن كثيرين لا يلتفتون إلى طول أناته ولا يعيرونه اهتماما، ومع ذلك يحتملهم بصبر متأنيا عليهم مقدّما لهم الفرصة علّهم يستفيقوا ويرجعوا عن حمقهم.

الذين هلكوا لم يعاملوا بظلم أبدا. وأيضا سوف ينالوا هناك عقابا أخفّ لأنهم عوقبوا جزئيا هاهنا.

أيضا الذين لم يُعاقبوا لم يقع عليهم ظلم لأن لديهم الفرصة ليرجعوا عن طرقهم الرديئة إذا رغبوا الاستفادة من طول أناة الله، متعجبين من احتماله، وخجولين من صبره الذى لا يحد، ويثوبوا نحو الفضيلة. وينالوا خلاص أنفسهم. لكن إذا استمروا فى شرورهم فلا أحد يلوم الله الذي أطال أناته عليهم كى يشفيهم ويعطيهم الحياة. أمّا هم لم يكونوا جديرين بعفوه ولم يحسنوا استغلال طول أناته وصبره.

أوضحت لكم بحديثى هذا لماذا لم يُعاقب الله جميع الأشرار هنا على الأرض، وأحب أن أضيف قائلا:

إذا أوقع الله بالبشر العقاب الذى يستحقونه على خطاياهم لهلك الجنس البشرى كله من البداية ولا كان هناك تعاقب للأجيال، وكى تعلموا أن هذا حقيقى أسمعوا ما يقوله النبى: "**إن كنت للآثام يارب راصداً من يثبت**" (مز ١٣٠: ٣).

تعالوا نفحص هذه الآية، ولنترك الذنوب والخطايا الدقيقة فى حياة كل منا لأنه من الصعب أن نحصيها أو نعرفها لكن نضع أمامنا الخطايا التى يرتكبها البشر جميعا دون استثناء، ومنها يتضح أنه إذا كنا عوقبنا عليها لهلك الجنس البشرى منذ أمد بعيد.

يقول الكتاب: "**مَن قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجبًا نار جهنم**" (مت٥: ٢٢). من منَا لم يرتكب هذه الخطية؟ إذن جميعنا يستحق الموت والفناء من زمن طويل.

ويقول "**لا تحلفوا البتة**" (مت٥: ٣٤). إنه ينهى عن الحلف، بمعنى من حلف حتى وإن أوفى الحلف يعد هذا فعلا مذموما. من منّا لم يحلف؟ بل بالأحرى وحلف باطلا.

كذلك يقول: "**من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه**" (مت ٥: ٢٨). أليس كثيرون ارتكبوا هذه الخطية؟.

إذا كانت هذه الخطايا التى ذكرتها الآن كم هى بغيضة وكريهة وكل منها على حدة يجلب عقابا وتأديبا محتما فكم بالأحرى إن أحصينا خطايانا التى نرتكبها خفية.

من ثم ندرك أن العناية الإلهية لم تؤدبنا هنا على كل خطية.

إذا رأيت إنسانا جشعا طمّاعا وغير معاقب، افحص ذاتك واسترجع سيرة حياتك، تذكّر خطاياك التى

ارتكبتها. فسوف تعلم يقينا أنك لم تعاقب على كل خطية منها. نحن نرى أيضا الكثيرين ينطقون بأقوال سفسطائية تافهة لا تبنى لأنهم لا يراقبون ذواتهم بل الآخرين.

ليتنا نقلع عن هذه الأفعال ونراقب أنفسنا ونفحص ذواتنا أولا.

إذا رأيت إنسانا بارا يُجرب، تذكّر أيوب. هل يوجد هناك إنسان يفوق أيّوب فى برّه ؟- كلاّ- ولا حتى يدنو منه. ومهما عانى إنسان ما من بلايا- أقول لكم- لم يصل إلى ما عاناه هذا الرجل أيّوب.

فوائد التأديب الألهى

ضع هذا فى ذهنك، كفَّ عن اتهام الله، واعلم أنه لا يتخلى عن الإنسان ليكابد المحن ويعانى البلايا، لكن كى يكللَه ويرفع من منزلته.

إذا رأيت إنسانًا خاطئا معاقبا تذكَّر مريض بيت حسدا الذى ظلَّ ثمانية وثلاثين سنة مفلوجا مطروحا على الفراش. هذا الإنسان أسلمه الله للمرض نتيجة خطاياه التى أرتكبها. أسمع ماذا قال الرب يسوع له **"ها أنت قد برئت فلا تعود تخطئ لئلا يكون لك أشر"** (يو ٥ : ١٤).

نحن نؤدَّب إمَّا مجازاة على خطايانا وإمَّا كى نكلل إن كنَّا نحيا فى الاستقامة وجرِّبنا بالمحن والبلايا. إذن فالتأديب نافع لنا على كل حال. سواء كنا نعيش حياة البر أو نسلك طريق الخطية. نحن نؤدَّب كى نتزكَّى

أكثر أو نؤدب لنصير أكثر انضباطا، وأيضا تخفيفا للعقوبة العتيدة لأن من يؤدّب هنا ويحتمل بشكر ستكون دينونته هناك أخفّ.

أسمع قول الرسول بولس "**من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون. لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا، ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم**" (١كو ١١: ٣٠).

ولدرايتنا بهذه الأمور دعونا نعظ عن تدبير الله بهذه الطريقة ونسكت أفواه أولئك المخالفين. إذا كانت هناك بعض الأمور تفوق إدراكنا ليس معنى هذا أن شئون حياتنا لا تخضع لتدبير الله، لأننا نحس ونلمس تدبيره فى كثير من الأمور وهذا يجعلنا نزعن لحكمته التى لا تستقصى.

إذا كان من المستحيل تفهّم فن إنسان مالم نكن خبـــراء بهذا الفن، فكيف للعقل البشرى أن يدرك ويتفهم تـــدبير الله الذى لا يحد لأن الكتاب يقول "**ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء**" (رو ١١: ٣٣).

نحن نعرف القدر البسيط عن تدبير الله لكن مـــع هذا حزنا واقتنينا إيمانا راسخا بالكل، له الشكر على كل حال. هناك أمر آخر للذين يرغبون الوعظ عن تدبير الله لا يمكن لأولئك المخالفين أن يعارضـــوه أو يناقضـــوه، لنسأل أولئك الناكرين لتدبير الله. هـــل يوجـــد الـــه؟ إذا أجابوا بالنفى، لا تتناقش معهم - تماما - كما أنه ما من جدوي أن تتناقش مع إنسان مجنون. هكذا الحال مع من يقولون ليس اله.

السفينة التى تقلّ بعض المسافرين وبها بعض البحّارة لا يمكن أن تبحر بأمان ميلا واحدا دون اليد التى ترشدها.

بالأحرى هذا العالم الذى يضم الآلاف من البشر ومؤلف من عناصر مختلفة كيف له هذا الاستمرار إن لم يكن خاضعا لتدبير فائق يضبطه ويحفظ له الدوام.

وإذا اعترف أولئك الناكرين - بخجل - بوجود الله دعنا نقول لهم : إن كان هناك إله - وهذا حقيقة واقعة - فلابد أن يكون إلهاً عادلاً، لأنه إن لم يكن عادلا ما كان إلهاً، وكونه كاملاً فى عدله لا بد أن يجازى كل واحد حسب أعماله. لكننا لا نرى الجميع يجازون هنا، هذا يعنى أن هناك حتما مجازاة تنتظرهم كى ينال كل واحد ما يستحقه. وبهذا يتحقق عدل الله.

هذه الحجة لا تسهم فقط فى تأكيد تدبير الله للكون. إنما أيضا فى حقيقة القيامة.

هيا بنا الآن نعلَم الآخرين ونبذل كل الجهد لنسكت هذه الألسنة التى تهتاج السيد. فلنمجده فى كل شئ. وبذا ننال الكثير من عنايته ونتمتع بربوبيته، ولنهرب من الشر الحقيقى كى نقتنى لأنفسنا أبدية سعيدة.

بالنعمة والرأفة التى لربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس الآن والى أبد الدهور آمين.

مصادر الكتاب :

١ – الكتاب المقدس.

٢ – The Nicene & post-nicene fathers

فهرس الكتاب

١	تقديم	٨
٢	كلمة شكر	١٠
٣	مقدمة للراهب و.ر. استفانوس	١٢
٤	حماس جمهور القديس يوحنا	١٧
٥	محبة الله للبشر	٢٢
٦	محبة الله تظهر فى عطايانا....	٢٧
٧	برج بابل	٣٢
٨	كلمة شر ومعانيها المختلفة	٣٦
٩	تدبير الله الحنون.....	٤٢
١٠	فوائد التأديب الألهى	٥٤
١١	مصادر الكتاب	٥٩

